

فهو خائف يروح ويغدو كأنه جان قد أحدث ذنباً أو بدعة ، فاجتنب وأقصى كأنه أجرب كما يتقى البعير ، وهو في ذلك كله كالجاهلين بل إنه ليصارحنا بذلك فيقول : « وأفعال أهل الجاهلية نفعل » . ثم هو يناقشهم الحساب على ما يصنعون فيقول :

أأهلُ كتاب نحن فيه وأنتمُ على الحق نقضى بالكتاب ونعدل فكيف ومن أنى وإذ نحن خلفه فريقان شتى تسمنون ونهزلُ

ويبين بذلك ظلم الأمويين لآل البيت ومعاملتهم معاملة شاذة فهم يسمنون والهاشميون يهزلون فقراً وجوعاً وحرماناً ، وهذا دليل على الشكوى من السياسة القائمة آنذاك . وأبو الأسود الدؤلي يظهر حبه كذلك لآل البيت ويعني حرمانهم من الخلافة ، وكثير عزة دخل في هذا وشارك فيه ، والحطيئة سخر من هذه الوراثة فقال :

أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا فإيا لعباد الله ما لأبي بكر أيورها بكرة إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر فقد رضى بالرسول . ولكنه لم ير للوراثة سبباً . فلن تكون لأبي بكر بعده ولن تكون لعمر بعدهما . وزاد عبد الله بن همام السلوكي في السخرية من هذه الوراثة فقال :

فإن تأتوا برملة أو بهند نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى نعد ثلاثة متناسقينا

فجعل حق الوراثة للنساء والرجال إذا قبل المسلمون هذا المبدأ وفي ذلك تقليد للأكاسرة وخروج عن الشرع ، وأعجمية في الطريقة . وفعل الخوارج مثل هذا ودافعوا عن مبدئهم وهاجموا غيرهم . فقال شاعرهم :

كذبتم ليس ذلك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصروننا

فخرجوا الفخر بالذم . وخرجوا من ذلك مبرئين . ونزع الشيعة إلى المطالبة بحقهم وذموا الذين سلبوها منهم ولكنهم قالوا شعرهم في قالب أقرب إلى الرثاء